ورد خمريٌ

قصة طويلة

ورد خمري

تنسيق الرواية سابقًا: خولة أعبيد.
تنسيق الرواية حاليًا: دعاء سعد.
تصميم الغلاف: خولة أعبيد.
الكاتبة: دعاء سعد.
تدقيق: دعاء سعد.
مكان النشر : مكتبة كتوباتي الالكترونية – فولة بوك.
تصنيف الرواية: فانتازيا.
السرد والحوار: فصحى.
سنة النشر: 2023.
حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

إهداء

إلى

كل الاطفال التي تعاني، والذين لا أعلم إن كانوا سيقرؤون روايتي أم لا؟

مستوحاة من قصة حقيقة

"في حضرة الغياب؛ الموت لا يوجع الموتى،
الموت يوجع الأحياء"

- محمود درويش.

ورد خمريٌ

مقدمة

انتشار عمالة الأطفال شيء محزن.

ولكن الأكثر حزنًا، هو تعذيب أولئك الأولاد.

أنا لا أمانع العمل شرط إلا تنتهك طفولتهم.

الفصل الأول

في أواخر صيف 1820 ، وصل في صباح أحد الأيام إلى وادي زرزورا* أحد الرجال، كان ذلك الرجل يمشي بتهور ولا يقيم وزنًا للصخور، أو حتى للطيور التي تحلق على مقربة من أكتافه، لم يكن الرجل ينظر إلا إلى نفسه، وكان غاضباً لأن قرية شعيث، لم تظهر معالمها إلى الآن.

وعندما بدأت طلائع المنازل تلوحُ، عرف أنه صار على مقربة من القرية، فجلس ليستريح على قارعة الطريق، وهو يتجول بنظرهِ بين المنحدرات الحادة، فقال في نفسهِ: ليس ثمة ها هنا محاصيل زراعية، وعلى الأهالي أن يفكروا بإعطائي أبنائهم.

صحت ورد باكرًا كي ترافق والدتها في الذهاب إلى العمل فهما من عائلة فقيرة، يكسبن قوت العائلة من التقاط الغذاء وجمع القش من سفوح المنحدرات الحادة، وكانتا تعانيان مشقة كبري في صعود المنحدرات

وهبوطها، وتربطان نفسيهما بالحبال أثناء العمل تجنبًا للسقوط.

كانتا تحصدان الأعشاب بالمنجل، وكانت ورد تقوم بجمع الأعشاب ونقلها إلى الأعلى.

كانت ورد وأمها يتحركن بهدوء وحذر، لأن الأفاعي تنتشر في كل مكان وعلى من يعمل في هذا المنحدر أن يكون أسرع منها.

ظلت الأم وابنتها تحصدان مدة ما يقارب من ساعة أخرى، بعدها جمعا ما حصداه، و وزعاه على السلتين وشرعا بالهبوط بحذر مثلما سبق لهما أن صعدا.

وكان الرجل في هذه الأثناء قد وصل إلى القرية.

عندما عاد الأب في المساء ودخل المطبخ، سأل عن التين الشوكي.

لكن ورد نسيت أن تجمع شيئًا من تلك الثمار أثناء العمل في الجبال، فصاح بها أبوها:

- ماذا؟ نسيتِ! ها قد بلغت الثانية عشرة من عمرك، وأنتِ لا تصلحين لشيء.

بقيَّ الجميع صامتين يتناولون الحساء المصنوع من العدس الأصفر، وكانت الأم والجدة تساعدان الطفلين التوأم، أما قطعة الجبن الموجودة على المائدة، فكانت من نصيب الأب وحده.

سمع الجميع فجأة صوتًا قادمًا من الحظيرة ينادي "عبد الحفيظ أرجو المعذرة" ثم دخلت إحدى خادمات الجيران وقالت:

-ثمة شخص يسأل عنكم "

عبد الحفيظ متعجبًا:

-من هو ذلك الشخص؟

الخادمة:

-لابد أن تراه، أن لديه جرحًا في وجهه.

نهض الأب وأتجه نحو قبعته وقال سوف أذهب لأري بنفسي.

1

[1]. زرزورا: هي واحة يقال عنها أنها كانت موجودة في مصر بجانب الحدود الليبية، وهناك من يقول أنها مجرد أسطورة.

الفصل الثاني

اقترب عبد الحفيظ من ذلك الرجل وسأله:

-هل ترغب في الحديث معي؟

أحضر الرجل كرسيًا، فجلس عليه عبد الحفيظ، ثم طلب له الرجل شيئًا ليشربه.

أخذ الرجلان يحتسيان ما أمامهما بصمت، وبدت على ملامح الرجل معالم النفور من عبد الحفيظ، الذي كان يتأمل وجه الرجل بكراهية وقسوة، وعندما همَّ عبد الحفيظ أن يسأل الرجل عن مراده، قال الرجل:

- سمعت أن لديك ابنة

هزّ عبد الحفيظ رأسه في تأكيد:

- نعم هذا صحيح

ومن ثم سأل الرجل مجددًا:

-وهل هي في الثالثة عشرة من العمر؟

عبد الحفيظ بنظرة شك:

- ستبلغ هذا السن قريبًا.

الرجل في لامبالاة:

-إني أفتش عن أولاد وفتيات بهذا السن.

-هكذا! رد عبدالحفيظ بتهكمّ.

قال الرجل بجدية:

-إنني أخذ الأطفال للعمل لمدة نصف عام في المحروسة. ثم أضاف: أن الأطفال يعملون هناك، ويحصل الأب على ثلاثين قطعة ذهبية مقابل عمل ابنه أو ابنته هناك.

عبدالحفيظ منفعلًا:

- أنا لا أوافق على بيع واحد من أبنائي مقابل ألف من القطع الذهبية حتى.

- آه!. تنهد الرجل.

"كلا! صاح عبد الحفيظ:

-فطالما يوجد لدينا ما يكفينا من الطعام والشراب، فأنني على استعداد لأن أبيع آخر قطعة من ملابسي، لكني لا أفرط بواحد من أولادي.

ظل الرجل ذو الندبة صامتاً، يتأملهُ ومن ثم قال:

- لقد قال هذا كثيرون من قبلك، لكنهم صاروا فقراء لا يجدون قوت يومهم، بين عشيَّة وضحاها.

-إن لدينا و الحمد لله، ما يكفينا من المؤونة. رد عبد الحفيظ بخشونة.

-أنت على حق. قالها الرجل وهو يحاول استرضاءه، ثم قال: -سأتي على كل حال في العام القادم.

وقف عبد الحفيظ وقال وهو يحدَّجُ الرجل بنظرات حادة:

- حسنًا .إذا عدت فستسمع الجواب نفسه. كن على ثقة من ذلك.

انقبض وجه الرجل على نحو غريب وقال:

- بل سأتي مجددًا وستعطيني ابنتك لتذهب إلى المحروسة، وبكل سرور أيضًا.

-بكل سرور؟ لا! رد عبد الحفيظ، الذي أزاح كأسه جانبًا ومضى إلى بيته.

كانت العائلة ما زالت مجتمعة عند الموقد، عندما عاد الأب.

- ما الأمر؟ سألت الأم.

عبد الحفيظ:

- كان ثمة رجل له جرح في وجهه يود التحدث معي.

الأم في قلق:

- وماذا كان يريد؟

أجاب بلا مبالاة:

- أنه يشتري الأطفال.

- الأطفال! صاحت الأم والجدة مذعورتين، فأنتقل هذا الزعر إلى وجه ورد التي دخلت لحظة رجوع والدها.

عبد الحفيظ مستهزئًا:

- يدفع الرجل ثلاثين قطعة ذهبية مقابل الطفل.

وكان الأب يشير في تلك الأثناء إلى ورد. مقابل أن يقضي الطفل فصل الشتاء في المحروسة، ليعمل هناك.

الجدة في فزع:

-وماذا قُلتَ لذلك الرجل؟

-أن ثلاثين قطعة ذهبية هي مبلغ قليل مقابل هذه البنت الكبيرة، فعلى الرجل أن يدفع ستين قطعة ذهبية. قال الأب وهو يضيق عيناه.

-أيها الأب السيئ ! صاحت الجدة، ورمت قطعة من الخشب نحوه استقرت عند قدميه، ما الذي وجدته قليلًا؟

- أنه سيعود العالم القادم على كل حال. قالها الأب ضاحكًا وهو ينظر للجدة.

سألت الجدة في استنكار:

-ولماذا سيعود؟

- لقد قال ليّ إنني سأعطيه ابنتي عندها، وأنا سعيد مقابل ثلاثين قطعة ذهبية.

- هذا شيطان! قالت الأم.

ضحك الأب وقال:

- لقد كان يبدو على تلك الشاكلة.

الفصل الثالث

استيقظت ورد مبكرًا في اليوم التالي، فكمن لها الرجل ذا الندبة عند مخرج القرية لكنه لم يعترض لها وتركها تمر بسلام.

كان لدى ورد الكثير من التساؤلات، لكن أمها لم ترغب في الحديث عن هذا الأمر، أما جدتها فكان رفضها قاطعًا.

وقد رغب الأب هو الآخر في نسيان ما قاله له الرجل.

"سأعود في العام القادم مرة ثانية".

فقط كانت الجملة تتكرر في ذاكرته كما لو كانت لون من التهديد.

وعندما كان يحدث أمر من الأمور في حياة هذه العائلة، وما كان أكثر ما يحدث، كانت العائلة تتذكر ذلك الكلام.

وقد حدث الكثير للعائلة في هذا العام.

فقد ساد الصقيع في بداية فصل الشتاء، ثم تلاه ربيع جاف، وصيف يتسم بالرطوبة، وصار الغذاء يتناقص

حتى صارت الحيوانات لا تجد إلا ورق شجر الاكاسيا لتتغذي عليه.

وفي عصر أحد الأيام ذهبت الأمّ إلى أحد المنحدرات الحادة، كي تقطع عددًا من أغصان الشجر، ولم تعد حتى بعد أن حل الظلام، فذهبت ورد لتبحث عنها.

عثرت ورد على أمها مغمي عليها، فقد وقعت على ما يبدو وكسرت رجلها. فما العمل؟ وكيف يمكن للعائلة أن تدفع أجرة الطبيب؟

علم الرجل ذو الندبة بالحكاية أثناء إقامته بكهف السباحين.

وذهب للقاء عبد الحفيظ مرة أخرى.

-لقد انتهى الوقت، أنتم بحاجة إليّ في هذا العام. سأدفع عشرين قطعة ذهبية.

عبد الحفيظ منفعلًا:

-أسكت أيها الزنديق القذر.

ذا الندبة مستفزًا له:

- وسأنقص المبلغ خمس قطع ذهبية مقابل كل سبة.

ثم أضاف الرجل:

-عبد الحفيظ عليك أن تفكر في زوجتك.

خطا الأب نحو الباب، ثم قال وإمارات الحزن بادية عليه:

- متى عليها أن تسافر؟

-عليها أن تكون في مدينة طرفة بعد غد، وأن تكون موجودة في "رمنت" القريبة من النهر أولًا، سنسافر بالقارب إلى المحروسة مباشرة. وعليك أن تعرف أنَّ المتعهد سيدفع لك المال بعد أن يتأكد من وصول الفتاة إلى مدينة طرفة.

ينظر الرجل إلى عبد الحفيظ:

- عبد الحفيظ، أرجو منك أن ترافق الفتاة وتسلمها ليّ بأمان.

بدأ المطر يتساقط ليلًا، وعندما أيقظت الجدة ورد وتأملت منظر المطر الغزير، فوجئت بمئات الجداول المائية الصغيرة وهي تهبط من أعالي المنحدرات.

وقد أصغت ورد إلى هديرها، وهي تهبط إلى الوادي من شعاب الجبل.

كانت أمها ترقد محمومة في سريرها، وتتألم عند كل حركة.

الأم:

-لا تسافري إلى طرفة في مثل هذا الطقس؟

- لابد من السفر، وأبي سيرافقني لا تقلقي. ردت ورد التي كانت تعلم أن الرجل ذو الندبة ينتظرها مساءً عند كهف رمنت.

- وداعًا يا أمي. أستلقي بهدوء وسيأتي الطبيب إلى هنا يوم غد، وستشفين ويتلاشى الألم.

كانت الجدة قد وضعت لحفيدتها شرائح خبز من دقيق الذرة، وقطعة من الجبن، وبضع حبات من التمر، في كيس صغير.

وقد قبلتها وهي تودعها قائلة:

- مع السلامة فليحفظك الله ويرعاك.

-إلى اللقاء جدتي. قالت ورد وهي تصافحها، وتتناول الكيس منها.

كان الأب يقف تحت المطر وهو يضحك، وكانت ورد تستطيع أن ترى على نحو دقيق كيف كان والدها يحرك كتفيه، ويهز رأسه من شدة الفرح.

قالت ورد في تلعثم:

-سأسافر يا والدي.

فجأة أنقبض وجه الأب، وتلاشت ضحكاته، فقد نسى الأب في غمرّة فرحه بنزول المطر سفر ابنته إلى المحروسة.

سأل والدها في حزن:

- ورد هل أنتِ غاضبة مني؟

نظرت له ورد ببؤس:

- كلا يا أبي، إنني أمل أن تحصل على المال لأجل أمي، أما في العام القادم فسأذهب للكُتّاب.

والدها مشجعًا:

-ستكونين فتاة شجاعة صحيح، وعملك هناك لن يمتد إلى أكثر من بضعة أشهر.

لكن ورد كانت شديدة الألم، وكانت تود لو تستطيع أن تخبر أباها عما أخبرها به خورشيد الذي قال لها: أنّ كثير من الأطفال الذين يذهبون إلى هناك للعمل في تنظيف المنازل يموتون.

سأل والدها بقلق:

- هل كل شيء بخير يا ورد؟

أزاحت عن عقلها الأفكار التي قد تشوش عقلها ومن ثم أجابت: -نعم يا أبي، سيأتي خورشيد عصرًا ويأخذ العصفور خاصتي، والكلب مرمر، والقط جعبل، أما الأرنب فسيكون للتوأم.

ثم أخذها أبوها وسافروا في طريقهم.

الفصل الرابع

وصلت ورد و والدها إلى مدينة طرفة، حيث كان بانتظارهم الرجل ذا الندبة.

والد الفتاة قائلًا لذا الندبة:

-أنتبه للفتاة وكما اتفقنا ستعود بعد نصف عام.

ذا الندبة مطمَّئنًا:

-عبد الحفيظ لا تقلق، أنها مثل ابنتي تمامًا. وأيضًا لقد وقعت عقدًا وأنا لا أخلف وعودي أبدًا .

- أنتبهي لنفسك صغيرتي. قالها عبد الحفيظ وهو يتألم لفراق ابنته الصغيرة.

لاحت على وجه ورد علامات الشجاعة:

-لا تقلق يا أبي، أحضر الطبيب لأمي وأهتم بها، ولا يهم أي شيء آخر. سأكون بخير.

قال ذا الندبة متعجلًا:

- هيا بنا سوف نتأخر.

ودعت ورد أباها، وذهبت مع الرجل ذا الندبة، إلى كهف السباحين وهناك وجدت العديد من الفتيات والأولاد الآخرين.

ذا الندبة في نبرة حادة:

-ستبقون جميعكم هنا إلى أنّ يأتي القارب في الصباح التالي. ثم أضاف بنبرة غاضبة:

- لا أريد أن أسمع صوتًا ناموا بهدوء. أيها الملاعين الصغار.

ظهر صوت فتاة صغيرة:

-سيدي ولكني جائعة.

هنا ثأر الرجل ولطمها على وجهها الصغير:

- وماذا أفعل؟ هل أنا أمك؟ توقفي عن البكاء، لا تبكي فهمتِ.

هنا وقفت ورد، وأخذت بيد الفتاة، ومسحت دموعها:

-حسنًا لا تقلقي، معي بعض الطعام سنتقاسمه سويًا.
ومن ثم وجهت كلامها للرجل ذا الندبة:

-سيدي ذا الندبة لا يحق لك ضرب أي منا.

ذا الندبة مستفزًا:

- صغيرتي أنتم عبيد لدي ويحق ليّ كل شيء. نظر لها نظرة حادة وضحك ضحكة خبيثة ثم أضاف:

-كل شيء هل فهمت يا صغيرة والآن أذهبي وأجلسي بهدوء ولا تتدخلي في شيء لا يخصك مجددًا فهمت.

هنا انزوت ورد وتراجعت بهدوء:

-حسنًا يا سيدي، ولكنك وعدت أن تهتم بنا.

حدجها ذا الندبة بعينيه:

-يبدو أنك ما زلتِ صغيرة، الوعود يا صغيرة خلقت لعدم الوفاء بها وليس العكس. والآن لا أريد رؤية وجهك ولا سماع صوتك إلى الغد.

أجابت في خوف:

-حسنًا سيدي.

ذهبت ورد في زاوية بعيدة وجلست وحيدة ودفنت وجهها بين ساقيها. ومن قريب جاءها همس ممزوج بالبكاء. صوت فتاة يعتذر:

- أعتذر، ولكني كنت جائعة حقًا.

ورد بطمأنينة:

-لا تهتمي لا بأس. وأخذت بيدها وأجلستها جوارها.

فتحت ورد الكيس الذي أهدته لها جدّتها وأخرجت منه قطعة الجبن وشرائح الخبز وقاسمتهم معها.

- أخبريني ما الذي أتي بك إلى هنا؟ سألت. ورد متعجبة.

أجابت الفتاة ببؤس يعلّو محيَّاها:

-جميع الأطفال هنا ليعيلوا أسرهم، تعلمين في هذا العام كان الوضع سيء على الجميع. وصمتت ومن ثم قالت:

- أبي مريض جدًا وأمي لا تستطيع أعالة الأسرة بمفردها ، لهذا حاولت إن أساعدها، وأحمل معها حمل هذه العائلة.

سألت ورد في استغراب:

-ولكن لِمَ اختارتِ أن تسافري مع هذا الرجل؟

قالت الفتاة بقلة حيلة:

-لم نختار، لِمَ يختار أي منا ولا حتى أنتِ.

أجابت ورد بحزن:

- أعلم ولكن لا بأس، أخبريني ما اسمكِ؟

أجابت الفتاة في ودٍ ومن ثم سألت:

-جميلة وأنتِ؟

أجابت ورد ومن ثم طرحت سؤالًا:

- ورد، من أين أنتِ؟

أجابت جميلة:

- من جابا القريبة من مدينة جندبة، وأنتِ؟

أجابت ورد في ودٍ:

ورد خمريٌ

- من قرية شعيث.

-أ لِمَ أخبركم أن تصمتوا. هنا قام الرجل محذرًا.

-حسنًا سنلتقي مجددًا وسنكمل حديثنا. همست ورد قائلة.[2]

[2] ملحوظة ومعلومة فاصل أعلاني: تتفاوت درجات عمالة الأطفال عبر التاريخ. خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان هناك العديد من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 5 و14 عامًا من أسر فقيرة يعملون في الدول الغربية ومستعمراتها. كانوا يعملون أساسًا في الزراعة وعمليات التجميع المنزلية والمصانع والتعدين والخدمات مثل الأولاد الذين يعملون في مجال الأخبار، حيث كان بعضهم يعمل في نوبات ليلية تدوم 12 ساعة. مع ارتفاع دخل الأسرة وتوافر المدارس وإصدار قوانين عمل الأطفال، انخفضت معدلات حدوث عمل الأطفال.

في أفقر بلدان العالم، يعمل واحد من كل أربعة أطفال في عمالة الأطفال، ويعيش أكبر عدد منهم (29 في المئة) في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. في عام 2017، شهدت أربع دول أفريقية (مالي وبنين وتشاد وغينيا بيساو) أكثر من 50% من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 5 و14 عامًا. وتمثل الزراعة في جميع أنحاء العالم المجال الأول لعمالة الأطفال. توجد الغالبية العظمى من عمالة الأطفال في المناطق الريفية والاقتصادات الحضرية غير الرسمية، حيث يعمل الأطفال في الغالب من قبل آبائهم، بدلاً من المصانع. يعتبر الفقر ونقص المدارس السبب الرئيسي لعمالة الأطفال. انخفض معدل عمالة الأطفال على مستوى العالم من 25% إلى 10% بين عامي 1960 و2003، وفقا للبنك الدولي. ومع ذلك، لا يزال العدد الإجمالي للأطفال العاملين مرتفعا، حيث أقرت اليونيسيف ومنظمة العمل الدولية أن ما يقدر بنحو 168 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين 5 و17 سنة في جميع أنحاء العالم شاركوا في عمالة الأطفال في عام 2013.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي شعرت ورد بالإعياء وأصبتها حمي.

ذهب الرجل ذا الندبة لأيقاظ الولاد، لأن القارب سوف يغادر بعد ساعة من الآن.

أسرعت جميلة بخوف و تلعثم:

-سيدي ذا الندبة، أن الفتاة ورد لا تستيقظ، سيدي لا أعلم ماذا أفعل؟

- حسنًا سأري بنفسي. رد الرجل بتهكمّ

رأى الفتاة ممددة ولا تستيقظ، حاول إيقاظها ولكن لا فائدة، تحسس دماغها و وجد أن حرارتها مرتفعة.

-اللعنة، لا يجب أن تموت، لقد دفعت مقابلها 20 قطعة ذهبية، كان يجب أن أبيعها مقابل 50 قطعة على الأقل. ثأر الرجل في غضب.

سألت جميلة في خوف:

-سيدي ماذا نفعل الأن؟

ذا الندبة يائسًا:

-سنأخذها معنا، لا وقت لدينا، سنسلمها لأصحاب الدار التي سوف تعمل بها وهم سيهتمون بها، ولا بأس إن لم أكسب فيها بعض قطع ذهبية أخرى.

همس أحد الصبية:

-رجلً جشع.

- سيدي أيمكننا إن نساعدها على النهوض؟. سألت جميلة بخوف

- حسنًا. رد الرجل بلا مبالاة.

ذهبت جميلة بجوار ورد، و حاولت أن تساعدها على النهوض. هي والأولاد الآخرين.

جميلة في قلق:

-لا تقلقي يا ورد، عندما نصل إلى المحروسة سنعرضك على الطبيب، أصمدي فحسب.

ومن ثم أردفت:

-أحملوها برفق، أنها مريضة.

رد أحد الصبية:

- وماذا نفعل؟ نفعل ما في استطاعتنا.

وصل القارب، وكان هناك ما يقرب من عشرين طفلًا

لن يتحمل القارب كل هذا العدد، سيكون عليك أستأجر قارب آخر. رد الرجل صاحب القارب.

ذا الندبة رافضًا:

-لا، لن أفعل أنتَ تريد أنَ تكسب أجرة مضاعفة، أنا أعرف ألاعيبك.

صاحب القارب مبررًا:

- ماذا تقول يا رجل، لا أمارس أي ألعاب، فقط أخبرك أنه يمكنك أن تأخذ قارب آخر.

نظر ذا الندبة بلؤم:

-وهل القارب الآخر مجانًا أم على أن أدفع ثمن أجرته.

صاحب القارب مجبورًا على أمره:

-يمكنك أن تدفع نصف الأجر فحسب.

ذا الندبة مفاصلًا:

- حسنًا. سأدفع عملة فضية واحدة.

رد صاحب القارب غاضبًا:

-يا رجل هذا قليل جدًا، المبلغ ضئيل جداً.

- لا بأس أذن، لا أريده. رد الرجل ذا الندبة مستفزاً.

يظهر الأولاد حاملين ورد ويحاولون مساعدتها على السير.

نظر صاحب القارب ناحيتهم:

-يا رجل! ماذا تفعل؟ أنها مريضة!. رد الرجل مستعطفًا.

الرجل ذا الندبة بلا مبالاة:

-سنعرضها على الطبيب فور وصولنا، لا تشغل بالك بهذا الأمر.

صاحب القارب ألقى بنظره ناحية الأولاد:

-حسنًا أصعدوا يا أولاد.

أعطاهم صاحب القارب غطاءين:

- ادفئوها جيدًا. سنصل قريباً إلى المحروسة.

- يبدو أنك عطوفًا. رد ذا الندبة ضاحكًا.

صاحب القارب يائسًا:

- ليّ أطفال في نفس أعمارهم يا رجل، أكره رؤيتهم يعانون.

- حسنًا. يمكنك شرائهم جميعًا، بمائة قطعة ذهبية، وأنا صنعت لك خصماً كبيرًا بالمناسبة. قال ذا الندبة ساخرًا.

- أنت تعلم إني لا أملك حتى ربع هذا المبلغ. رد الرجل صاحب القارب عاجزاً.

- كفى كلامًا فلنغادر. رد الرجل ذا الندبة بجدية.

أخذ الأولاد الأغطية وقاموا بتغطية ورد، ولكن أغلبهم أصابه دوار البحر.

أحد الأولاد متعبًا:

-لا أبدو بخير يا رفاق، أشعر بالغثيان.

يرد عليه أحدهم بعطف:

- سنصل قريباً فقط أصبر بضع ساعات.

الطفل المتعب ازداد سوءًا:

-لا أستطيع يا كريم.

كريم مهونًا عليه:

-حسنًا سأتصرف لك في أي شيء حامض.

كريم سائلًا للأولاد الآخرين في عجز:

- هل لدى أي منكم شيء حامض، عليٌ في حالة سيئة؟

-حسنًا . تفضل، أتمنى أن يكون بخير. فتشت جميلة في حقيبتها وأخرجت ليمون، وأعطته له.

شكرها كريم:

- شكراً.

- هل تشعر بتحسن الآن؟. سأل كريم صديقه عليٌ.

عليٌ في وهن:

- بعض الشيء، أتمنى أن نصل قريبًا.

كريم مؤيدًا:

- وأنا أيضًا.

- سيدي صاحب القارب، أيمكنني أن أسالك سؤالًا؟ سألت جميلة.

- تفضلي يا صغيرتي. أجاب صاحب القارب بعطف.

سألت جميلة ببؤس:

-هل الحياة دائمًا بهذه القسوة

أم فقط عندما تكون طفلًا؟

صاحب القارب عاجزًا:

- لا أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال، فأنا لم أعرف إجابته إلى الآن. [3]

---

[3] ملحوظة وفاصل أسباب عمالة الأطفال:
الفقر والظروف الاقتصادية والعوز والتردي المعيشي للأسرة من الاسباب الرئيسية.
تدني المستوى الثقافي او عدمه عند الوالدين.
عجز الأهل على الإنفاق على أولادهم.
عدم الاهتمام بالتعليم.
محاول مساعدة الأسرة.
كثرة الإنجاب.
التفكك الأسرى والجهل.

الفصل السادس

وصل الأولاد والرجل ذا الندبة إلى المحروسة.

وفي هذه الإثناء كان الطبيب في منزل عبد الحفيظ لعلاج زوجته.

والآن يعرف ذا الندبة ماذا يفعل ولمن يبيع هؤلاء الأطفال، الفتيات ستعمل في المنازل والفتية سيعملون في استصلاح الأراضي، أو في المحاجر.

بعد أن باع جميع الأولاد لمدة اربعة أعوام، بالطبع لابد من الربح، هل تظنون أنه أحمق ليدفع هذا المبلغ الكبير مقابل كل طفل بدون أن يكون هامش الربح كبيرًا؟

لم يتبقى سوى الفتاة المريضة، لم يبالي بها أحد ولا أحد حتى يفاصل في ثمنها، بضاعة خاسرة بالنسبة له.

- اللعنة، لم أخسر صفقة في حياتي و ها أنا ذا أخسر 20 قطعة ذهبية مرة واحدة. قالها الرجل متحسرًا وغاضبًا.

جلس الرجل حزينًا يندب حظه العاثر ويندب اليوم الذي زار فيه تلك القرية "كانوا بيقولولنا الطمع يقل ما جمع "

مرتَ صدفة سيدة بعربتها، تبدو سيدة من سيدات المجتمع الراقي.

نظرت للفتاة بِتمعُن ومن ثم قالت: هل هذه الفتاة ابنتك يا سيدي؟

-نعم يا سيدتي. وانحني لها وحياها.

- ما بها، لا تبدو أنها بخير؟. سالت السيدة في حيرة.

- مريضة يا سيدتي، وليس لديّ ما أعطيه للطبيب ليعالجها، حاولت مرارًا أن أستعطف ذوي القلوب الرحيمة ليساعدوني، ولكن يبدو أنهَ لا يوجد أحد في قلبه ذرة من الرحمة والعطف على الأب المسكين وابنته المريضة. رد بنبرة كلها أسي.
- حسنًا، سأخذها أنا وأهتم بها في منزلي، هل يمكنني أن أخدمك بأي شيء؟. قالت السيدة في إشفاق.
- سيدتي لا أملك قوت يومي، وليّ أولاد جياع، لا تساعديني ولكن ساعديهم. رد بخبث ويبدو عليه الحزن ولكنه يضحك من السعادة.

الأشرار بشر مثلنا، يتعاملون معنا يوميًا، ليس شرطًا أن يكونوا أشرارًا كلّيًا، فدائمًا في كل منا هناك الخير والشر، بعضنا يستطيع أن يتغلب على الشر داخله والبعض الآخر لا يستطيع، في النهاية ليس هناك شر مطلق أو خير مطلق.

نظرت السيدة إلى السائق وأعطته سرة من القطع النقدية: أعطها للرجل وأحضر هذه الفتاة.

بعد أن غادرت السيدة، فتح ذا الندبة السرة ودهش مما رأى: يا الله، لم أكن أحلم بربع هذا المبلغ، خمسون قطعة ذهبية في طفل واحد، وطفل مريض أيضًا، لا أستطيع التعبير عن سعادتي. ظل الرجل فرحًا يتحدث مع نفسه. "الفلوس لحست دماغه "

لقد ربح من الصفقة التي يظن أنها خاسرة، لقد كانت أكثر صفقة رابحة.

ونحن أيضًا كثيرًا ما نظن أن بعض الصفقات خاسرة، ومن ثم نصدم بعد ضياعها أنها كانت صفقات رابحة. [4]

[4]
ملحوظة وفاصل :
تجارة الأطفال او المتاجرة بهم، مازالت قائمة ولكن الفرق فقط، أن الأب او الأم هم من يرسلون أبنائهم للعمل لدى الآخرين وهذا لأسباب ذكرتها في الفصل السابق، وهناك قصص عن أطفال قتلت وتعذبت وخصوصاً الفتيات في خدمة البيوت، وهناك مشاهير متهمون بتعذيب الاطفال وقضايا كانت ومازالت تشغل الرأي العام.

ورد خمريٌ

الفصل السابع

وصلت السيدة إلى منزلها، و وضعت الفتاة في غرفة من غرف المنزل وطلبت من الخدم تغيير ملابسها المبللة وبعد ذلك استدعت الطبيب ليرى هذه الفتاة وليفحص حالتها.

السيدة في قلق:

- ما بها؟ هل هي بخير؟

الطبيب يفحص نبضها، ويفتح عيناها:

- سيدتي أنها بخير. فقط سوء تغذية وبعض الزكام، ستكون بخير في غضون أسبوع، أعطوها بعض الأعشاب المغلية وادفئوها.

شكرته السيدة بامتنان:

- شكرًا لك، سوف نفعل.

اعتمر قبعته وغادر مستأذنًا:

- تحياتي سيدتي.

غادر الطبيب وامرت الخدم الاهتمام بها والسهر على رعايتها، بعد ذلك ذهبت إلى غرفة في المنزل في

الطابق الثاني، إذا نظرت ستجد الغرفة خالية تمامًا يوجد بها بعض الأثاث، كرسي قديم، وصندوق مزخرف وعليه قفل كبير، في الزاوية هناك طاولة لا تبدو كذلك، ولكنها على هذه الشاكلة، تذهب السيدة باتجاه الصندوق وتحاول فتحه ويصدر صوتًا مزعجًا، يبدو أنه منذ سنوات لم يقترب منه أحد، تنظر بداخله إلى لوحة ومن ثم تغلق الصندوق، وتغلق الغرفة بأحكام ثم تنزل على الدرج بهدوء شديد.

إذا دققنا في النظر سنجد أن هناك لوحة لرجل طاعن في السن ولكنه غير موجود في المنزل، السيدة لوحدها غريب.

هناك في زاوية ما هناك صندوق في الدور الأرضي أيضًا، هناك حاوية الأواني الخزفية، وهناك طاولة من الزان، عليها مزهرية عتيقة، وبعض الكراسي فقط عددهم خمس، هناك صورة للسيدة على الجدار. في غرفة المطبخ هناك الموقد ودولاب لحفظ الطعام من التلف، هناك جرة على الرف العلوي بها مربي التين وفي الرف المتوسط جرة صغيرة من العسل. هناك علبة خزفية تحتوي على حلوى مغلفة موضوعة بعناية.

في غرفة الفتاة هناك سرير وبجواره درج صغير وكرسي صغير وطاولة عليها بعض من الطعام ودولاب صغير.

في الطابق العلوي هناك ثلاث غرف، غرفة السيدة وغرفة الضيوف، والغرفة التي لا يدخلها أحد باستثناء السيدة .

في هذا المنزل لا تقام الحفلات ولا الاجتماعات، منزل هادئ إلى حد مخيف، فقط أفراد العائلة يأتون في أول كل شهر فقط.

بعد عدة أيام استعادت الفتاة صحتها وأصبحت قادرة على القيام بالمهام المنزلية.

ولكن السيدة كان لها رأي آخر.[5]

[5] عندما يمتزج الخيال بالواقع لا تسال أين الحقيقة؟ أنا لا أعرف نهاية القصة، ولا أعرف أذا كنت سوف أنهيها أم لا، صدقوني أنا لا أعرف ما النهاية وما الذي سيحدث تاليًا كل ما أعرفه إني حتماً سأضع النهاية ولكن متى لا أعلم.

الفصل الثامن

أرادت ورد أن تتحدث مع السيدة نازلي، وبحديث متعلثم:

-سيدتي هل يمكنن.. يمكنني أن أذهب إلى السوق مع الخادمة لأساعدها، فحسب، فأنا لا أفعل أي شيء منذ قدومي إلى هنا. عيناي ورد موجهة على الأرض.

-هل الخادمة من طلبت منك ذلك؟ . السيدة نازلي بحزم ونظرة ارتياب.

- لا، لا سيدتي، أنا من أراد الذهاب والمساعدة، إن كان في وسعك السماح ليّ. ورد تترجي السيدة بتهذيب.
- حسناً. يمكنك الذهاب. ما زالت نظرة الارتياب كما هي، مع ملامح تتسم بالجدية، ومن ثم أضافت:
- ولكن لا تهربي أو تخرجي عن طوع الخادمة.

ورد بامتنان وتهذيب:

-حسنًا. سيدتي سأكون عند حسن ظنك، ولن أخيب آمال حضرتكم.

انصرفت ورد وغادرت مع الخادمة وكان لديها فضول، وأسئلة كثيرة، لماذا تعاملها السيدة باختلاف؟ حتى أنها لا تنظف أو تعمل في المنزل، لا تفعل أي شيء.

ورد سألت الخادمة في فضول:

-عنايات، دار في بالي عدة أسئلة، وأهمها لماذا لا أعمل أو حتى أساعدك، ألا تعلمين السبب؟

الخادمة في هدوء:

- سيدتي أنا لا أعلم، ولا يحق لي بالتدخل في هذه الأمور، أنها ليست من شأني.

هذا الرد أخرس ورد وجعلها تشعر بالحزن والارتياب، الأمر غريب ومحبط نوعًا ما.

وبينما هي تمشي في طريقها لمحت من بعيد شخصًا تعرفه، وعندما ندقق في النظر، سنجد ملابس بآليةً بعضها ممزقة وإذا قَرب المشهد ونظرنا عن قرب سنجد أنها فتاة ذات شعر قصير لونه بني.

- جميلة. هنا صاحت ورد، وركضت نحوها.

أجابت جميلة في اندهاش:

-ورد، لم أتصور أن أراك مجددًا، ولم أعرفك من بعيد!.

- كيف حالك يا فتاة، أشتقت إليك، كيف آلَتَ بك الحال إلى هذا الشأن. ورد بحزن.

جميلة ببؤس:

-لا بأس ليس الجميع محظوظاً مثلك، أنا بخير صدقاً، وأرى أنك بأفضل حال.

تنظر لها ورد بحزن:

- انتظري ما هذه الجروح على يدك، وما الذي حصل لوجهك؟ الندبة هذه لم تكن موجودة ولا كل الندبات والجروح الأخرى؟

جميلة في وجوم:

- هذه كلها أخطائي، هذه الجروح ماء مغلي، هذا لأني كسرت أنية فخارية. تشير إلى يدها، ثم أضافت:

-ولكني لم أقصد، هذه الندبة لأني نسيت الملابس في يوم ممطر، وتلك لأن السيد تشاجر مع السيدة، وتلك أولاد السيدة كانوا يمزحون فقط. ثم بكت

ورد في جدية:

-حسنًا. كفى دموعًا، أتركيهم، وسوف أطلب من سيدتي، أن تبقي معي، سأساعدك.

جميلة بعجز:

- لا أستطيع، لقد دفعوا مقابلي للرجل ذا الندبة، ولا أستطيع مغادرتهم قبل أنّ يتخلصوا هم مني، أخبرتك

لسنا محظوظون مثلك، لا تقلقي أنا أفضل حالاً من الباقيين، لم نخلق للتنزه.

سألت ورد في خوف:

-ما بهم الآخرين، هل هم بخير؟

- لا أحد بخير، عليٌ قطعت يده في المحجر، كريم فقد عينًا، زينب مفقودة، عثمان غرق، جعفر مرض، منصور توفي، نجمة حرقت، والباقي لا أعلم عنهم شيئًا لا تحزني علينا هذا قدرنا وسوف نعتاد عليه، أعذريني تأخرت ينتظرني عقاب آخر. ردت جميلة بألم وحزن.

- وداعًا يا جميلة، لقد كبرتي عشرين عامًا، في شهرين فقط، كم هو مؤلم أن تكون بلا حيلة ولا قوة، اللهم أنت قوتنا وحولنا. ورد همست في خاطرها.

غادرت جميلة ومازال عقابها ينتظرها، ليس لأنها تأخرت، بل لأنها سيئة الحظ، ليس سوء حظ، و إنما هو قدرها، لا نستطيع تغيير الأقدار ولا تحسينها نحن نتقبلها فقط، ودائمًا تذكر هناك من هو أسوأ منك حالًا ولكنه لا يشتكي ولا يدعس رجلهِ في التراب مثل طفل صغير يريد لعبة، أنهُ يصبر ويحتسب أذيتهُ ومعاناتهُ عند الله، ويسأل الله الثبات والثواب والصبر.[6]

[6] الأحداث الغامضة ليس لها تفسير عندي، وليس هناك جزء ثاني، لست أنا من يكتب الرواية هي من تطرح نفسها، لا أعرف ما يحدث، ولكن الكلمات لها الكلمة الأخيرة وأنا مجرد أداة.

الفصل التاسع

ديسمبر شهر البرد والذكريات، وقفت ورد بجوار النافذة مختلسة بعض النظرات، مسحت زجاج النافذة في محاولة لرؤية الأجواء في الخارج، ولكن كان الجو ضبابياً.

مرت السيدة بجوارها ونظرت لها نظرة فاحصة ثم قالت بابتسامة هادئة:

-هل تريدين الذهاب للعب في الخارج؟

-هل يمكنني ذلك سيدتي. قالت ورد في حماس ولكنها حاولت عدم إظهاره.

-بالطبع يمكنك، اذهبي. قالت السيدة نازلي في عطف.

-سيدتي، هل يمكنني أن أسالك سؤالًا؟

-تفضلي أسالي ما شئت.

-سيدتي، لما تعامليني باختلاف؟

- يا فتاة أنا لم أشتريك، أنا فقط ساعدت والدك، لقد كان مغلوبًا على أمره، ولو تري فحسب كيف كان قلقًا عليكِ.

- سيدتي، ذا الندبة ليس والدي، أنه رجل يشتري الأطفال من القرى ويبيعهم هنا في المحروسة لقاء عملنا في تنظيف المنازل، أو العمل في المحاجر، هل تعتقدين أن أبي سيتسول من أجلي مثلما فعل ذا الندبة؟ لا سيدتي كان سيبيع آخر قطعة من ملابسه ولن يفرط بي.

-ولكنه فرط بك يا صغيرتي، أ لم يبَعِك للرجل ذا الندبة، صغيرتي لا تغركَ الأشعار فكل الشعراء كاذبون، أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون، لا تثقي كثيرًا. قالت السيدة نازلي بعطف.

-سيدتي أبي لم يكن ليبيعني لولا حالة أمي الصحية السيئة، أبي ليس سيئًا سيدتي.

- ستفهمين ذلك عندما تكبرين. ومضت السيدة في طريقها، ثم رجعت خطوة واحدة ،ثم قالت:
- تستطيعين اللعب في الخارج ولكن لا توسخي ملابسكِ، حسنًا.

غادرت السيدة في أتزان، وتوارت عن الأنظار وكأنها لم تكن.

في الحديقة الخلفية، هناك شجرة ضخمة محفور عليها حروف غريبة، لا أدري ربما حروف يونانية قديمة أو لاتينية.

ورد خمريٌ

هناك أرجوحة قديمة ولكن الزمن لم يهلكها، عندما تراها من بعيد تيقن أنها منذ بضعِ أشهر، ولكن إذا دققت النظر ستجد أنها منذ ست أو سبع سنوات.

مقعد قديم يصدر أزيز، ممزق، وخيوط العنكبوت تغزو كل شيء تقريبًا.

بجواره كرسي مهترئ، قد يبدو لوهلةٍ أن لا أحد في هذا المكان.

نبتة بجانب الجدار في إناء فخاري، أوراقها جافة.

وإذا دققت في النظر ستجد عدد أوراقها المتبقي فحسب ثلاث ورقات جافة لا حياة فيها.

حاولت ورد الخروج واللعب كما أخبرتها السيدة، ولكن الأبواب مؤصدة من الخارج، و ها هو ذا أمل الخروج إلى الخارج انتهى.

عندما سئمت من الخروج قررت الذهاب إلى الدور العلوي، صعدت الدرج بهدوء ونظرت في جميع الاتجاهات لتتحقق أن لا أحد يراقبها، بخطوات ثابتة وصلت أخيرًا، في هذا الدور هناك الكثير من خيوط العنكبوت، والأتربة في كل مكان، تشعر كما أن لا أحد في المنزل، هناك لوحات على الجدار لأناس لم أقابلهم.

في آخر الطريق هناك ضوء غريب، لا يبدو أنهُ من عالمنا، ما هذا العالم الغريب.

وهنا تحدث شيء بصوت جميل ومطمّئن، أن لا تخافي، أنتِ في أمان.

الفصل العاشر والأخير

قبل ثلاث أشهر، فتاة بجوار الطريق وبجانبها رجل له ندبة على وجهه.

ذهب لرؤية رجل وأحضر قاربًا، وجرت محادثة ما بينهم.

-يا رجل ماذا فعلت؟ . قال صاحب القارب.

- لم أفعل شيئاً، ماذا أفعل أكثر مما فعلت، عرضتها على الطبيب، والطبيب أخبرني أنه سيحاول مرة أخرى. قال ذا الندبة متحسرًا.

قال صاحب القارب:

-حسناً، فليحاول أذاً، سأعود مجددًا.

- يا رجل لا تتحرك أنا خائف. قالها ذا الندبة مرتعبًا.

صاحب القارب هادئًا:

- حسنًا. ضعها في القارب.

-ماذا سنفعل بها؟. بدت علامات البلاهة على الرجل ذا الندبة.

- ماذا نفعل يا رجل برأيك؟ . نظر له الرجل صاحب القارب بمكر.

غادر القارب وأبحر في البحر مسافة كبيرة، يمكنك رؤية الأمواج تلاطم جوانب القارب، ويمكنك أن ترى طيور النورس محلقةً حولك.

يبدو البحر غاضبًا، وأمواجه تعصف بقوة ضاريةٍ، القارب لا يتحمل كل هذه القوة.

هنا تحدث صاحب القارب للرجل ذا الندبة.

- يا رجل لا أستطيع المضي قدمًا، البحر غاضب، وأمواجه لا تبشر بخير، يجب أن نتركها هنا وفي الحال، لا أريد أن أخاطر بحياتك وحياتي، نحن ما زالنا على قيد الحياة أم هي فلا.

رد الرجل ذا الندبة:

- حسنًا، فلتفعل ما تجده صوابًا، لا يهمني الأمر، المهم أن نتخلص منها وحسب.

قام الرجلان برميها في عرض البحر، وفي هدوء تام وسط غضب البحر، ابتلاعها موج البحر في تأنِي، وغاصت في قعر البحر، واستقرت هناك في عالم آخر.

كان بجوارها الأسماك وبعض الأصداف، صدفة كانت غريبة الشكل على شكل عصفور، وهناك أخرى على

شكل وردة، سمكة غريبة تسبح بجوارها، لها عينان جاحظتان وهيكل منتفخ.

بعيدًا في زوايا المحيط الذي حولها، هناك صندوق كبير الحجم وله قفل، وهناك ممر، وضوء قادم، وصوت يخبرها ألا تخاف.

عاد الرجلان إلى الشاطئ بصعوبة بالغة.

-ماذا ستقول لأهل هذه، ما هي حجتك؟ . قالها الرجل صاحب القارب مستفسرًا .

ذا الندبة بلا مبالاة:

- لن أقول شيئاً، لن أعود إلى قريتها في الواقع، قصة وانتهت.

- يا لك من رجل ماكر، أ لم تكن خائفًا منذ قليل؟ قالها الرجل صاحب القارب ضاحكًا.

قال ذا الندبة مبتسمًا :

- كنت خائفًا أما الآن لا.

أحلام الأطفال تباع بكسرة خبز، وشربة ماء.[7]

[7] لم أكن أتخيل أني سوف أنهيها ولكني فعلت، بعض الكتابات لا تعلم نهايتها إلا إذا هي أرادت ذلك.

إذا كنت تبحث عن الحقيقة وإنك لا تعلم ما الذي يحدث؟

حسنًا عزيزي القارئ الفتاة ورد توفت من الفصل الرابع وكل الذي حدث بعدها هو حلم قبل الموت، هل أطمئن قلبك الآن.

تمت بحمد الله بتاريخ 15/10/2023